

سألوني عن جبهة النصرة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سألوني عن جبهة النصر^ة

مجاهد مأمون ديرانية

مجموعة مقالات نُشرت بين

الرابع والعشرين من ذي الحجة ١٤٣٦ (٢٠١٥/١٠/٨)

والخامس من صفر ١٤٣٧ (٢٠١٥/١١/١٥)

أعرف ثلّة من شباب النصره هم كالذهب الخالص ، من أصدق مَنْ عرفت من المجاهدين وأكثرهم إخلاصاً فيما أحسب ، والله حسيبهم ، تعرفت عليهم بسبب كتاباتي عن الجبهة وانتقاداتي المتكررة لها ، فقد ردّوا عليّ وناقشوني كما ردّ وناقش غيرهم ، إلا أنهم من الفئة الأولى التي أحبها ، الذين ينتقدون بحق ويجادلون بأدب ، فأردّ على كلامهم العاقل بكلام عاقل . الفئة الثانية هم المُرأؤون الذين يجادلون بلا عقل ، أخاطبهم من الشرق فيردّون من الجنوب ، وهؤلاء أُعرض عنهم ولا أضيع وقتي معهم . أما أصحاب الفئة الثالثة فإنني أحظرهم على الفور ، وهم السفهاء الذين لم يهدّبهم الدين ولم يُربّهم الوالدون في طفولتهم والمعلّمون أيام الطلب ، فلا خير يُرتجى منهم لا في دنيا ولا في دين .

هؤلاء المجاهدون الصالحون ناقشوني فيما كتبت وناقشتهم ، ولمست عند كثيرين منهم إخلاصاً وإنصافاً

حبّهم إلى قلبي وشجعني على التواصل معهم. ولا شك أنني لم أقنعهم في كل ما قلت ولم يقنعوني في كل ما قالوا، ولكنني استفدت منهم وأرجو ان يكونوا قد استفادوا مني.

ولأنني تصورتهم كأولادي الذين أحبهم وأرجو لهم الخير والفلاح في الدارين فقد كنت أكتفي بوعد وعهد أخذه منهم، سواء اقتنعوا بكل ما أقوله لهم أم لم يفعلوا: أن لا يتهوروا في هاوية التكفير التي تفتح باب الشر الكبير وتقودهم إلى قتل أهل القبلة من المسلمين، وأن لا يستجيبوا لأمرائهم لو دفعوهم إلى قتال أي فصيل ثوري، إلا إذا ثبت بغيه أو فساده وتعيّن قتاله بحكم قضائي يصدر عن جهة مستقلة محايدة، وليس عن قيادة النصره نفسها، لأن القاضي والجلاد لا يجتمعان في كيان واحد إلا في أعراف الطغاة والمستبدين.

* * *

عدّد من هؤلاء الأحبة الأفاضل ألحوا عليّ مؤخراً بسؤال، أو طلب، قالوا: إنك ما تزال تنتقد تجاوزات النصره وأخطأها حتى ليراك الغريب خصماً لها وعدواً من الدّ الأعداء، ولكنك تناقشنا فلمس عندك

غَيْرَةً عَلَيْهَا وَحِرْصاً عَلَى تَصْوِيبِ مَسَارِهَا وَتَصْحِيحِ
أَخْطَائِهَا، فَهَلَّا تَرَكْتَ النِّقْدَ الْمْتَفَرِّقَ وَكُتِبَتْ مَقَالَةٌ
جَامِعَةٌ فِيمَا تَأْخُذُهُ عَلَى النِّصْرَةِ وَمَا تَرْجُوهُ مِنْهَا؟

قلت: آَن الأَوَانُ؛ أَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللهُ. وَهَذَا هُوَ تَحْقِيقُ
الْوَعْدِ.

عَلَى أَنْ تَحْتَمِلَنِي جِبْهَةَ النِّصْرَةِ وَيَحْتَمِلَنِي مَجَاهِدُوهَا
وَأَنْصَارُهَا، فَإِنِّي لَمْ أَلْفُ لُغَةَ السِّيَاسَةِ وَالدِّبْلُومَاسِيَةِ
الَّتِي تَزِينُ الْقُبْحَ وَتَرْفَعُ الطَّرِيحَ، وَمَا كُنْتُ لِأَجَامِلَ فِي
مَصْلَحَةِ الْأُمَّةِ صَغِيراً وَلَا كَبِيراً وَلَا فَرْداً وَلَا جَمَاعَةً.
وَاحْتَمِلُوا أَيْضاً طَوْلَ هَذِهِ الْمَقَالَةِ، فَإِنِّي لَنْ أُنْصِفَ
إِذَا اخْتَصَرْتُ وَلَنْ أَحَقِّقَ الْمُرَادَ بِكُلِّمَاتِي. عَلَى أُنْيِ
سَأَقْسِمُهَا إِلَى أَقْسَامٍ فَأَنْشُرُهَا مَجْزَأَةً مْتَفَرِّقَةً حَتَّى يَسْهَلَ
ابْتِلَاعُهَا عَلَى الْآكِلِينَ.

* * *

أَخْتَمُ هَذِهِ الْمَقْدِمَةَ بِكَلِمَةٍ أَوْجَّهَهَا لِنَفْسِي وَلِلْقَرَاءِ الْكِرَامِ:
هَذِهِ السَّلْسَلَةُ سَتَكُونُ اخْتِبَاراً حَقِيقِيّاً لِلطَّرَفَيْنِ، لِي وَأَنَا
أَكْتُبُهَا، وَلِمَجَاهِدِي النِّصْرَةِ وَأَنْصَارِهَا وَهُمْ يَقْرَؤُونَهَا.
فَإِنْ أَخْطَأْتُ فَلْيُرِدُّوا عَلَيَّ خَطِيئِي، حِجَّةً بِحِجَّةٍ وَفِكْرَةً
بِفِكْرَةٍ وَحَقِيقَةً بِحَقِيقَةٍ، وَإِنْ أَصَبْتُ فَلْيَعُودُوا إِلَى الْحَقِّ

ولا يتعصبوا للباطل حميَّةً وعصيَّةً، فإنما هي من بقايا
الجاهلية التي ذمَّها الإسلام.

* * *

سأجيب -في هذه الحلقة والتي بعدها- عن بعض الأسئلة التي وردتني فرادى في أوقات مختلفة وأجبت أصحابها في مراسلات خاصة، وهي توضح موقفي من جبهة النصره على العموم، وبعد الفراغ منها سأنتقل إلى الجزء الأهم، فأكتب ما آخذه على جبهة النصره وما أرجوه منها بالتفصيل، وسيكون ذلك هو لب هذه الحلقات وهو ما أنشأتها أصلاً من أجله.

* * *

سألوني: هل تصنّف جبهة النصره عدواً من أعداء الثورة؟ قلت: معاذ الله، بل هي منا ونحن منها، ولو رأيتها عدواً لصرّحت كما صرّحتُ بعداوة داعش منذ دهر. إني لم أخشَ داعشَ ولم أجاملها قط، فلماذا أخشى النصره وأجاملها وأزعم فيها ما لا أراه فيها؟

* * *

قالوا: هل تجيز للفصائل قتالَ النصره أو تدعو إليه؟
قلت: معاذ الله، إني إذن لكشريكٌ في الدم الحرام.
ولعل بعض الفصائل يتوقفُ تمويلُها وتسليحها على
رضاها بقتال النصره، فأقول لها: إياكم أن يجركم إلى
قتال المسلمين أيُّ كان، ولو كان الثمن مالُ الدنيا
كلها، ولو قطعوا عنكم السلاح وخرجتم من الميدان
فإنه خير من توجيه السلاح إلى صدور المسلمين.

* * *

قالوا: لكنك اتخذت موقفاً صارماً في الحالات التي
قاتلت فيها النصره غيرَها من الفصائل ودعوتَ إلى
التدخل وردّها ولو بالقوة؟ قلت: نعم، فعلت،
وسأفعل كلما تكررت أمثالُ هذه الحوادث، سواء
أكانت النصره طرفاً فيها أم كان غيرُها من الفصائل
هو الطرف، فالقاعدة التي قررها الشرع (وليس أحدٌ
من الخلق، لا أنا ولا غيري) أنّ الباغي يُقاتل لرد بغيه
وأن المعتدي يُدفع عدوانه ولو كان الثمن موتَ أحد
الطرفين، ودلت النصوص المحكمة القطعية الدلالة
والثبوت على أن المدافع عن حقه إذا مات فهو شهيد،
وأن المعتدي إذا مات فهو في النار.

* * *

قالوا: لكن كيف تحكم على أي من الطرفين بالبغي ولعله ينتقم لنفسه أو يأخذ حقه؟ قلت: لدينا في سوريا هيئات ومحاكم شرعية مستقلة، فمن كان له حق فليتحاكم إليها ويأخذ حقه عن طريقها، أما أن يصبح الفصيل القوي هو القاضي وهو الجلاذ فإنه بغيّ وعدوان لا يقبله عقل ولا شرع ولا قانون، ولو أبحنا ذلك السلوك لكل فصيل لصارت سوريا غابة من الوحوش.



قالوا: هل تدعو إلى خروج النصره من الميدان؟ قلت: لن أدعو إلى خروج أي فصيل يقاتل النظام من الميدان، لا النصره ولا غيرها، ما لم يصبح وجوده أكثر ضرراً من عدمه. الثورة فيها فصائل كثيرة يختلط خيرها بشرّها، فنحن نحتملها ونتشبّث بها ما غلب الخيرُ الشرّ، فإذا زاد الضرّ الذي يصدر عنها على الخير الذي يُرجى منها صار إخراجها من الميدان واجباً يفرضه العقل والشرع.

من أجل ذلك أضغط على النصره وأستمر في نقدها النقد المرّ، لأنني أدافع يوماً أخشاه وأرجو صادقاً أن

لا نبلغه، يوماً يصبح ضررها عظيماً وضريرتها ثقيلةً
بحيث تفوق قدرة سوريا وثورتها على الاحتمال.

لو بلغتْ جبهةُ النصره هذا المبلغ ستقرؤون دعوة
صريحة أطلبها فيها بالخروج من الميدان، فلا يعتبن
أحدٌ عليّ لو فعلتُ إذا فعلت بحق، بل العتب على
النصرة إذا سمحت بالوصول إلى تلك النهاية الحزينة.

* * *

السؤال الأهم الذي أسمع على الدوام: لماذا لا تنتقد إلا النصر؟ أليس غيرها من الفصائل يرتكب ما ترتكبه هي من أخطاء؟

الجواب من ثلاثة أوجه.

أولاً: يلاحظ المراقب المنصف (وأسأل الله أن أكون منصفاً) أن الأخطاء المختلفة تتفرق في الفصائل وتجتمع في النصر، ففي الفصائل من يعادي غيره، وقليلٌ جداً منها، بل من أندر النادر، من يقاتل الآخرين ومن يستولي على أسلحة غيره من الفصائل، وفيها من يفرق الصف ويتفرد بالإدارة والقضاء، ومن يعزل العلماء والدعاة ويطاردهم إذا خالفوا منهجه، ومن يعتقل ويلاحق ويؤذي الناس بغير حق، أو يتسلط عليهم ويفرض عليهم قوانينه الخاصة... لكن لا يوجد فصيل اجتمعت فيه هذه التجاوزات كلها وتكررت كثيراً إلا النصر.

* * *

الوجه الثاني: إن حجم المخطئ أهم من حجم خطئه،
فإن أعظم خطأ يرتكبه فصيل صغير لا يبلغ خطؤه
معشَرَ الخطر الذي يترتب على أصغر الأخطاء التي
ترتكبها جبهة النصره.

لو أن كتيبةً عددُ مقاتليها مئةٌ أو مئات بَعَتْ على كتيبة
أخرى مثلها فإن القُوى العسكرية الثورية الكبيرة قادرةٌ
على احتواء المشكلة ونزع فتيل الاختلاف، ولكنَّ مَنْ
يستطيع وقفَ بغي النصره إذا بعت، ومن سيمنعها من
العدوان إذا أقدمت على العدوان؟ إن الجرذ حيوان
مؤذ كريحه، ولكنَّ ربما عاش بين الناس منه مئات فلم
يضجَّ الناس، أما لو أفلت نَمْرٌ من حديقة الحيوان
فسوف تُعلن حالة الطوارئ وينتشر التحذير من الخطر
الكبير على كل لسان.

* * *

الوجه الثالث: إن القوى الثورية كلها لها وازع من
نفسها ومن غيرها، فإنها إذا أخطأت ودُكِّرت تذكرت
فرجعت عن الخطأ، وهي تتجاوب مع النصح وتخضع
للضغط الشعبي، ولنا تجارب كثيرة مع أكثر الفصائل
الكبيرة في الميدان، فقد وقع الخلاف مرات بين

فصائل الغوطة الشرقية ومرات بين فصائل الشمال،
فما إنْ تدخل العقلاء حتى استجاب المختلفون،
فخضعوا لخطة الإصلاح ولم يشهر بعضهم في وجه
بعض السلاح.

أما النصره فإنها لا تخضع لأحد ولا تستجيب لناصح
ولا ترعوي عن قتال.

ولنا مثال في حملتها على حزم ومعروف، فقد تدخل
العلماء والدعاة والمصلحون في الحالتين وتدخلت
الفصائلُ الكبرى لحمل الطرفين على الصلح ودفعهما
إلى القضاء، فاستجاب الطرف الآخر وخضع لخطة
الصلح، وأبت النصره إلا أن تطبّق شريعة الغاب:
«القوي يأكل الضعيف».

ولنا مثال في اعتقال أبي عبد الله الخولي، فإن كاتب
هذه السطور لم يترك أحداً يعرف أن له وجاهة وكلمة
عند النصره إلا كلمته ووسطه، والكل يعلم أن النصره
تعتقل الرجل ظلماً بغير حق، والنصره نفسها تعلم،
ورغم ذلك فإنها لم تسمع ولم تستجب، ولا يبدو
أنها ستفعل، والله يعلم: أما يزال حياً أم فتكوا به؟ وله
أمثال يصعب إحصاؤهم، يبلغون المئات.

وهذا سببٌ يدعو الناشطين إلى مزيد من الضغط
العلني، فهم يعلمون أنهم لا يصلون مع النصرَة إلى
الحق بالطريق اليسير الذي يصلون إليه مع الآخرين.

* * *

بعد المقدمات السابقة أدخل في صلب الموضوع ولُبّه: ما هي مآخذنا على جبهة النصره وما الذي نطلبه منها؟ لن نشتغل بالفروع والصغائر التي يُتَوَقَّع صدورُها عن أي فصيل، يكفي أن نركز على المسائل الكبرى، وسوف أعرض واحدةً منها في كل حلقة من هذه المقالات.

أول ما نطلبه من جبهة النصره هو أن تكفّ عن تكفير الأعيان -أفراداً وهيئات وفصائل وجماعات- وأن تترك هذا المنهج في التكفير فإنه مدمر للجهد، وهو المدخل الذي دخلت منه داعش أول مرة، وما سار في هذا الطريق أحدٌ إلا انتهى إلى ما انتهت داعش إليه لا محالة.

لقد سمعنا الحكم بتكفير هيئات ثورية في كلام صريح واضح لأمير النصره الذي كفر الائتلاف وكفر هيئة الأركان، وما نزال نسمعه من كثير من عناصرها الذين

يكفرون فصائل كاملة من الجيش الحر، بل ومن الفصائل الإسلامية الأخرى (رغم كراهيتي لهذا التفريق بين المجاهدين وعدم موافقتي عليه) والحجّة التي يحتجّ المكفّرون بها دائماً هي الاتصال بالدول وتلقي الدعم منها، أو القبول بدولة القانون والمؤسسات والانتخابات والبرلمانات.

وكلا الأمرين مردود، فإن الاتصال بالكافر لا يكفر إلا إذا كان على سبيل الموالاة (القائمة على تعظيم كفر الكافر ونصرته) أما الاتصال لتحقيق مكاسب للثورة أو دفع مضارّ محتمّلة عليها فإنه من السياسة الشرعية المطلوبة، ويدخل في هذا الباب تلقيّ الدعم اللازم لإسقاط النظام، ما لم تترتّب على تلقيه مفسدةٌ أكبرُ من مفسدة انتصار النظام... ولا أدري كيف يمكن أن توجد مفسدةٌ أكبرُ من انتصار وبقاء النظام.

* * *

أما دولة القانون والمؤسسات فإنها النقيض لدولة الحزب الواحد والحكم الشمولي والظلم والفساد والاستبداد وليست نقيضاً لدولة الإسلام. وما البرلماناتُ والانتخابات التي ينكرونها بالملّاق إلا أداة

من أدوات الحكم، والأدوات ليس لها دين، فهي لا تكون مسلمة أو كافرة ولا تكون صالحة أو فاسدة إلا بما ينتج عنها من آثار.

إنّ البرلمانات التي تساوي بين إرادة الخالق والمخلوق أو تقدّم رأي العباد على رأي الشارع هي مؤسسات كفرية بالتأكيد، ولكنّ ليس هذا ممّا يلزمها حتماً في كل حال، بل يمكن أن تُضَبَط بضابط دستوري أعلى يمنع تجاوز الشريعة وتعطيل الفرائض وإباحة المحرمات، وعندئذ لن يكون «النظام البرلماني» عدواناً على الشريعة، بل سيكون فقط نظاماً سياسياً يوفر الحماية من الطغيان والاستبداد، ومن رفضه وحاربه فإنه يدعم -شعرَ أم لم يشعر- بقاء وهيمنة الطغيان والاستبداد.

* * *

إنّ التكفير بابٌ شرٌّ كبيرٌ فتحتهُ جبهةُ النصرَة على الثورة وعلى الجهاد الشامي، حتى صار تكفير كثير من الفصائل كلمةً دائرةً على ألسنة عناصرها بلا أدنى رهبة ولا تردد.

لقد كان شيخ المجاهدين في العصر الأخير، الشيخ عبد الله عزام رحمه الله، كان خصماً عنيداً لهذا

المنهج، وبلغ من صرامته في تطبيقه أنه كان يطرد كل مَنْ يجترئ على التكفير ويمنعه من المشاركة في معسكراته الجهادية، وعلى هذا النهج سار القائد خطاب، فَمَنْ أولى بالافتداء: هؤلاء الأعلام الذين شهدت لهم الأمة، أم الدواعش الذين صار التكفيرُ واستحلالُ الدم عندهم أهونَ من شرب الماء؟

إنَّ الفيصل الحقيقي بيننا وبين داعش هو استسهال التكفير وتوزيع تهمة الردة والصحوات على الأفراد والجماعات، فَمَنْ تابعهم في هذا المنهج فهو منهم ولو اختلفت الأسماء والرايات.

* * *

الأمر الثاني الذي نطلبه من جبهة النصره هو أن لا تقاتل أيّ فصيل بأيّ ذريعة، وإذا كان لها حقٌّ فإنها تستوفي حقّها عن طريق القضاء الشرعي المستقل، وإذا عجز القضاء عن استيفاء الحق فلتنازلها عنه أهون من إراقة الدماء وقتل الأبرياء، فما كان لقتالٍ عامٍّ أن ينتهي بتحصيل الحق المجرد، بل لا بد فيه من تجاوزٍ بالباطل وهدرٍ لدماء الأبرياء.

وليس معنى هذا أنّ قتال الفصائل ممنوعٌ مطلقاً، فقد دعونا إلى قتال داعش منذ أن كانت داعش فصيلاً صغيراً باغياً معتدياً على سائر الفصائل، وما زلنا ندعو إلى قتال داعش ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً وإلى استئصال شجرتها الخبيثة من الأرض. ودعونا إلى قتال فصيل شهداء اليرموك الداعشي في درعا وطالبنا بتفكيك فصيل جند الأقصى الداعشي في إدلب، وسوف نستمر بالدعوة إلى قتال كل فصيل مستحق

للقتال تحقيقاً لمصلحة الجهاد والعباد والبلاد.

في سوريا اليوم مئاتٌ ومئات من الفصائل الكبيرة والصغيرة التي تحمل السلاح، وربما استغل بعضها القوة التي يملكها فظلمَ وأفسد وطغى، أو اعتدى على غيره من الفصائل وبغى، فهل يُترك أم يؤخذ على يديه ويُمنع من الإفساد والطغيان والبغي والعدوان؟

* * *

إنَّ قتالَ الفصائل واجبٌ في حالتين: في حالة الاعتداء على المدنيين وقطع الطرق والخطف والقتل والإفساد، فمن صنع ذلك فإنه يُقاتل قتالَ المفسدين المحاربين ويُقام عليه حدُّ الحرابة إذا قُدِرَ عليه قبل التوبة. هذه هي الحالة الأولى، والثانية هي حالة البغي: إذا بغى فصيلاً على فصيلٍ فاعتدى عليه بالسلاح واحتل مقراته وصادر أسلحته وقاتل مقاتليه. هذه الحالة تستوجب القتال لرد البغي والعدوان بنص القرآن: ﴿فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾.

لكنَّ للقتال في الحالتين السابقتين ضابطاً مهماً، هو أن يكون قرارُ قتالِ الفصيل المفسد أو الباغي باتفاق الفصائل الكبرى المعبّرة في المنطقة، لكيلا يتحول

القتال بذريعة ردّ البغي إلى عدوان وتصفية حسابات وصراع على النفوذ. وأن يصدر هذا الحكم عن محكمة شرعية محايدة مستقلة متّفق عليها، وليس عن محكمة الفصيل المقاتل، فإن السلطة القضائية لا بد أن تكون مستقلة عن السلطة التنفيذية، ولا يصحّ أن يكون القاضي هو الجلاد.

* * *

إنّ العصمة من الظلم والخطأ متحقّقة في الجماعة الكبيرة (جماعة المسلمين)، أما الجماعات الصغيرة والفصائل فلا يمكن أن تخلو من هوىّ وتحزّب ومنافسة ستكون سبباً في تحويل الجهاد إلى غابةٍ لو غابَ هذا الضابط. من هذا الباب كان انتقادنا لجهة النصره حينما حاربت معروف وحزم وبقية الفصائل، وهو انتقاد لم يفقه مغزاه كثيرون ولا أدركوا أبعاده الكبيرة وضرره الهائل على جهاد الشام.

خلال عشرة أشهر قامت جبهة النصره منفردةً بغزو اثني عشر فصيلاً وتفكيكها بحجة البغي والصحوات، ولم يصنع ذلك أحدٌ غيرَها إلا داعش. فهل يجوز شرعاً أن ينفرد فصيل بقرار قتال فصيل بمثل هذه الذرائع

المطاطة؟ لقد أمرَ ربُّنا تبارك وتعالى بقتال البغاة بلفظ «قاتلوا»، وإنِّي قرأتُ كل ما وصلتُ إليه من تفاسير فما وجدتُ أحداً من المفسرين يقول إن جبهة النصره هي المعنیه بهذا الخطاب، بل المقصود به جماعة المسلمين، سواء أكان لهم إمام أم لم يكن لهم إمام.

لو أجزنا للنصره أن تصفّي حساباتها بقوة السلاح لوجب أن نُجيز ذلك للفصائل جميعاً، فبأيّ حق نمّنع النصره هذا الحق ونحرم منه الآخرين؟ ولو سلكت الفصائل كلها المسلك الذي سلكته النصره (وما تزال تسلكه) لصارت سوريا نسخة من الصومال الحديث أو من جاهلية العرب القديمة: أشتاتاً متقاتلين.



الأمر الثالث الذي نطلبه من جبهة النصرة هو الاعتدال في الدين والتبرؤ من الغلو. ولعل الجبهة تردّ علينا فتقول: أين نحن من الغلو؟ ألا تلاحظون الفرق بيننا وبين داعش؟ وجوابنا أن الغلو درجات، فإن تكن داعش بلغت به الغاية فإن غيرها قد يتلبّس به بما هو دونها، والنصرة استقت من الأصل الذي استقت منه داعش، فلا غرابة أن تتلبّس بشيء من الغلو المذموم.

من أعظم مظاهر الغلو التي ننتقدها على النصرة التهاون في التكفير، وتحويله من مسألة يختص بها كبار أهل العلم وخاصتهم إلى «ثقافة شعبية» تنتشر بين العناصر والأنصار ويلهو بها الصبيان والأغرار.

* * *

فأما التهاون في التكفير فقد أشرت إليه سابقاً في حلقة مضت من هذه الحلقات، واستدللت عليه بتكفير

الجولاني نفسه للائتلاف والأركان. ومن المعلوم أن كثيراً من الفصائل لا تتفق مع الائتلاف، بل ربما وصل الأمر ببعضها إلى تخوين بعض رجالاته، أما التكفير؟ لا، هذه جرأة ما رأيناها إلا من داعش والنصرة وبنات القاعدة الأخريات. وما نزال إلى اليوم نسمع ونقرأ من عناصر النصره اتهامات بالردة والكفر على طوائف من الجيش الحر، وعلى فصائل وجماعات وهيئات سياسية ثورية، وعلى أردوغان وحكومة حماس، وكل ذلك عندهم شائع متداول معروف.

ومن هذا الباب رَمِي بعض الفصائل بالردة أو اتّهامها بالصحوات لتبرير قتالها، كما حصل مع حزم وجمال معروف. ومن المؤكد عندنا أن قتال النصره لكلا الفصيلين هو قتال مصالح ونفوذ وليس قتالاً شرعياً، وقد كتبتُ ذلك يومها فهاج عليّ كثيرون من أنصار النصره، وما زلت أقوله إلى اليوم، وأرى أن مثل هذا القتال حرام، وأنه يزداد حُرمةً عندما يُلبَس بلباس الدين.

أما تحويل التكفير إلى «ثقافة شعبية» يتعامل بها العوام والعناصر والأنصار فإنها أمّ الدواهي. فالأصل أن يقتصر المسلم على تكفير الطوائف والجماعات الخارجة عن

الإسلام، كاليهود والنصارى والنصيريين والمجوس والبوذيين والقاديانيين والبهائيين وأضرابهم، أما الأعيان فإنّ الحكم عليهم بالردة والكفر ليس من شأن أهل العلم الشرعي بالمطلق، فضلاً عن أن يكون من شأن العامة، وإنما هو من اختصاص القضاء، لأنه حكم شرعي قضائي تترتب عليه دماء وحقوق.



ومن مظاهر الغلو التي نأخذها على جبهة النصره تلك السنّة السيئة التي سنّتها، وهي تعليم نواقض الإسلام قبل تعليم الإسلام، فقد جاءت إلى مجتمع مغيب عن الدين منذ نصف قرن فلم تبدأ بتعليمه الأعمال التي يكون بها مسلماً، بل علّمته كيف يحكم على الآخرين بالخروج من الإسلام!

ولعمري إن هذا من أغرب الغرائب، وما رُوي مثله عن نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام ولا عن أحد من أهل العلم، بل كان الرجل يأتي إلى النبي فيعلّمه ما يصير به مسلماً، فإذا انصرف قائلاً: «لا أزيد عليها» قال صلى الله عليه وسلم: «أفلح إن صدق».

وكان علماؤنا يُلزِمون طالبَ العلم بالتدرج في طلب

العلم، بدءاً بما يحتاج إليه في دينه من الطهارة والصلاة
وسائر العبادات، باباً بعد باب، ومعه تجويد القرآن
وفهمه وحفظ شيء من الحديث، فلا يصل الطالب
إلى مسائل التكفير إلا بعد سنين، واليوم تقفز النصره
في حلّقها ودروسها من فوق ذلك كله لتصل فوراً
-بقفزة بهلوانية عجيبة- إلى نواقض الإسلام!

ما هكذا يا جهة النصره يكون تعليم الإسلام.

* * *

الأمر الرابع الذي نطلبه من جبهة النصره هو إبعاد الغلاة عن مفاصل الجماعة ومراكز صنع القرار.

لقد راقبنا باهتمام شديد الصراعَ الفكري الذي شهدته أروقةُ النصره خلال الشهور الماضية، والذي استبشرنا به خيراً في أول الأمر وظننا أنه سيتمخض عن تغير يجعل النصره أقربَ إلى أهل الشام وإلى منهج التدين الوسطيِّ السويِّ الذي ارتضاه لأنفسهم أهلُ الشام.

ولكن النتائج كانت مخيبةً للآمال، فقد أصرت قيادة النصره على قطع الطريق على كل محاولات الإصلاح وعلى إقصاء أصحاب المنهج الإصلاحى، وبدلاً من دعم وتأييد أبي مارية (الذي كان أول من وقف في وجه الغلو الداعشى وحارب داعش ودعا إلى إصلاح البيت الداخلى) بدلاً من دعمه أقدمت النصره على عزله واستبدلت به أحدَ أكبر رموز الغلو في التنظيم ليخلفه في منصب الشرعيِّ العام، ثم أقدمت أخيراً

على فصل صالح الحموي في رسالة واضحة لكل
إصلاححي الجماعة: الصمت أو الفصل والإقصاء.

ومن قبلُ جاءت بأحد الغلاة الأجلاد من الأردن،
سعد الحنيطي، وعينته قاضياً عاماً، فلم يلبث إلا قليلاً
حتى انشق والتحق بداعش.

وليس لجبهة النصرة عذر في تعيين هذا الغالي الداعشي
قاضياً، فلئن أخفى ميوله الداعشية فإن غلوّه كان
واضحاً لكل ذي عينين، ويكفي أنه صاحب التغريدة
الشهيرة التي يقول فيها: "يجب أن لا يُحصَر الجهاد
الآن في العراق والشام، فلا بدّ من الدفع به عبر حدود
الجزيرة والأردن".

نشرَ هذه التغريدة قبل تعيينه قاضياً عاماً ببضعة أسابيع،
فهل يدلّ تعيينه في أرفع منصب قضائي إلا على موافقة
قيادة النصرة له في رأيه السقيم؟

ألا يعني تعيينُ رجلٍ هذا رأيه أن النصرة ترى توجيهَ
الثورة السورية باتجاه الأردن والسعودية لتصبح
ثورة عابرة للحدود؟ إذا كان هو مجنوناً فهل يجوز
أن يشاركه في الجنون قادةُ النصرة فيضعوه في ذلك
المنصب الخطير؟

ثم إن النصره تَبَيَّنَ لها جهله وغلوه وداعشيته، فسكتت عنه وتركته في منصبه حتى كان هو الذي فارقتها من تلقاء نفسه وانصرف إلى داعش، فأَيُّ غلَوٍّ وأَيِّ مجاملة في دين الله؟! أليس هو القائل بعد القتال الذي نشب بين داعش والنصرة: "لا فرق في الأصول عندنا بين الطائفتين، فكلهم على أصول أهل السنة والجماعة"؟ فرَّق الله بين رأسه وبدنه!

حتى حينما ارتكب كبيرة من القول بقي قاضياً عاماً، فإنه تجرأ على مخالفة القرآن وشطبَ منه جملة فلم يُلَمِّه أحدٌ من قادة النصره وأنصارها، يوم قال: "ما يحصل بين الإخوة في الدولة والنصرة لا يخرج عن قوله تعالى: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما. فالواجب هو العمل على الإصلاح فقط". فقط يا عدو الله؟ وأين ذهبت بتمة الآية؟

* * *

الأمثلة التي ضربتها أعلاه قليلٌ قليلٌ من كثير كثير، ولو أردت الاستقصاء لبلغت المقالة مجلداً، فإن جبهة النصره مسكونةٌ بالغلالة الذين لا ترى الجبهة في غلوهم بأساً، وإن كثيراً من أمرائها وشرعيها

وعناصرها على بعد أنملة من داعش، لو اهتزوا هزة خفيفة لوجدوا أنفسهم فيها. وما مقالة الغالي الخارجي التكفيري الجلد أبي فراس السوريّ عنا ببعيد، ولا نسينا بعدُ فاجعةً مخيم اليرموك، حين اتضح للبعيد والقريب أن نصرة المخيم هي داعش وداعش هي النصرة، فتحالفت الفتتان واندمجتا في القتال وفي الجبهات والمقرات، وبغت نصرة المخيم واعتدت على كرام المجاهدين، فلم نسمع من قيادة النصرة إلى اليوم كلمة إنكار أو اعتذار.

* * *

الأمر الخامس الذي نطلبه من جبهة النصره هو التوقف عن تعيين قادة عسكريين وشرعيين وقضاة من غير السوريين، ليس لعصبيّة جاهلية ونزعة وطنية ضيقة ما نزال نُتَهَمُ بها بالباطل، ولكن لأن أهل البلاد أدرى بأحوالها وأقدرُ على سياسة وقيادة أبنائها.

واختيارُ قادة القوم من القوم أنفسهم سنّةٌ نبويةٌ معروفةٌ، فإننا نقرأ في السيرة أن جيش فتح مكة كان مجموعة من الألوية التي شكّلها النبي عليه الصلاة والسلام تشكياً قبلياً بحتاً (وسمّاها أهلُ السّيرِ جيوشاً، فجيش كِنانة وجيش غِفار وجيش أسلم وجيش سُليم وجيش جُهينة، إلخ).

ثم عيّن -بحكمته وبُعد نظره- أمراءها وحَمَلَة ألويتها منها، فلم يؤمّر على أي قبيلة أميراً من غيرها. هذا جيش سُليم على سبيل المثال: كان مقاتلوه سبعمئة، أمّر النبي عليهم ثلاثة قادة منهم وعقد لكل واحد راية:

الحجاج بن علاط السُّلَمي وعباس بن مرداس السُّلَمي وخفاف بن نُدبة السُّلَمي، وتكرر المنهج نفسه مع سائر الجيوش.

ثم إننا نقرأ في السيرة في أخبار «عام الوفود» أن النبي صلى الله عليه وسلم استقبل وفود القبائل، فعلم كل جماعة ما يحتاجون إليه من الدين ثم عيّن عليهم أميراً من أنفسهم، فأمر عثمان بن أبي العاص الثقفي على ثقيف، وزيد الخيل الطائي على طيء، وفروة بن مُسيك المرادي على مراد، وصرد بن عبد الله الأزدي على الأزد... والقائمة تطول.



هذه السنّة النبوية الحكيمة صارت قاعدة عامة في العهد الراشدي والتزم بها الخلفاء الراشدون، فشكّل الصديقّ جيوشَ فتح العراق والشام على أساس قبلي وعيّن الأمراء منهم، ثم تابعه في ذلك عمر، وهذا كله مبسوط مفصّل في كتب التاريخ. ولقد أدرك كبار مشايخ الجهاد في العصر الحاضر هذه السنّة فلم يخالفوها، ومن تأمل سيرة الشيخ عبد الله عزام وسيرة القائد خطاب وجد على ذلك الشاهد والدليل.

فلماذا خالفت جبهة النصره هذا الهدي النبوي العظيم؟
لماذا تركت رجال سوريا وأعلامها - وهم كثير - وأمّرت
على السوريين من ليس منهم ، حتى صار تسعة أعشار
أمرائها وشرعيّتها وقادتها الأُميين والعسكريين من غير
السوريين؟

إذا أحسنّا الظن نقول إن هذه المخالفة تدلّ على جهل
وقصّر نظر من قيادة النصره ، لأن أهل الأرض أعلم
بها وبأهلها ممّن أتى من خارجها ، وهو أمر أكدته
التجربة ، حيث رأينا من القضاة والشرعيين والقادة غير
السوريين طوامّ ومصائب لا تُحصى ، بسبب تسلطهم
على السوريين وهم بعيدون عن فهمهم وإدراك
خصوصيات المجتمع السوري.

* * *

ثم إن أهل البلد أكثر تراحمًا ورفقًا بعضهم ببعضهم
لفطرة إنسانية وطبع غالب ، ولنا عبرة في قصة سعد
بن عبادة يوم الفتح ، فإنه لمّا حمل راية النبي عليه
الصلاة والسلام قال مرتجزاً: "اليوم يوم الملحمة ،
اليوم تُستحلّ الحرمة". فسمعه عمر بن الخطاب فقال:
يا رسول الله ، اسمع ما قال سعد! ما نأمن أن تكون

له في قريش صَوْلَةٌ. فقال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه: أدركه فخذ الراية منه فكن أنت الذي تدخل بها.

والشاهد في القصة واضح، فقد تصوّر سعدٌ كيف أخرج أهلُ مكة رسولَ الله منها قبل سنوات، فأخذته الحميَّةُ لدين الله ولرسوله صلى الله عليه وسلم. ولا ريب أن في أنفس المهاجرين من الحميَّةِ لدينهم ولنبيهم مثل ما في أنفس الأنصار، ولكنْ تلجمها رَحِمٌ وعاطفة جبليَّةٍ يحملها المرء لأهله وعشيرته.

فهلَّا اقتدت جبهة النصره بفعل رسول الله عليه صلاة الله وسلامه أو بفعل من اقتدى به من أئمة الجهاد المعاصر، فأرسلت من يأخذ الرايات من أيدي الأنصار (الذين دُعوا خطأً مهاجرين، وإنما هم الأنصار لو جاؤوا حقاً لنصرة أهل الشام) ويضعها في أيدي المجاهدين من أهل البلاد؟

* * *

الأمر السادس الذي نطلبه من جبهة النصره هو أن تكفّ عن فرض سلطانها على الناس.

لقد سمعنا من أميرها الجولاني يوم أعلن عن دخولها إلى الميدان أنها جاءت لنصرة أهل الشام لا لحكمهم، ولكنّ الذي رأيناه من بعدُ هو النقيض، فهل غيرت النصره رأيها بأخرة أم خادعت أهل الشام عن أنفسهم ابتداءً حتى يفتحوا لها الباب؟

استقلّت جبهة النصره بإدارة المدن والأرياف التي تسيطر عليها وأصدرت فيها القوانين وألّزمت بها الناس وجبّت الزكاة وطبقت الحدود، فكأنها في سباق مع داعش: أيهما تستحق الفوز بلقب دولة الإسلام!

وحين شكّلت الفصائل محاكمَ وهيئات شرعية مشتركة خالفتها وتعالّت عليها وتمردت على أحكامها، ثم أنشأت لمنافستها محاكمَ ضرار سمّتها «دور القضاء»،

وفتحت سجوناً تمارس فيها الاعتقال والتحقيق
والتعذيب.

فهل هذا حكم أم نصره يا جبهة النصره؟

* * *

إننا نطالب جبهة النصره بأن تكون صادقة مع نفسها
ومعنا ومع الله ، وأن تلتزم بالوعد والعهد الذي قطعته
على نفسها يوم قالت أنها جاءت للنصرة لا للحكم ،
فُتُخْلِى المَدَنُ من المقرّات والطرق من الحواجز
ويقتصر رباطها وجهادها على الجبهات.

ونطالبها بأن تتوقف عن فرض قوانينها على الناس
والتدخل في تفاصيل حياتهم الاجتماعية ، وأن تتوقف
أيضاً عن احتكار العلم الشرعي وعن الكِبْر الذي
يؤهمها بأن منهجها هو الحق المطلق وأن غيره باطل
مردود ، وهو التصور الذي حملها على مطاردة الدعاة
والخطباء ومَنع كثيرين منهم من الخطابة والتدريس في
المناطق التي تسيطر عليها في الشمال.

كما نطالبها بإغلاق سجونها ووقف ممارساتها
المستفزة التي تخالف فيها شرع الله وتحاكي بها ظلم

النظام: الاعتقال والتعذيب الذي وصل إلى الموت في عدة حالات.

* * *

لقد صار واضحاً بعد أربع سنوات من وصول تنظيم القاعدة إلى سوريا، باسمه المحلي «جبهة النصرة»، أنه لم يكن وفيّاً للوعد الذي قطعه على نفسه يوم قال: "ما جئنا لنحكمكم"، فإمّا أنّ «ما» في الجملة السابقة زائدة أو أنّ «إلا» سقطت بين الكلمتين!

فقد اتضح للسوريين الذين يعيشون في مناطق سيطرة النصرة أنها ما جاءت إلا لتحكمهم، واكتشفوا أنها لا تطبق صبراً على مشروع الحكم، فلم تستطع تأجيل المشروع فيه لأن الإغراء كبير: قوة عسكرية في اليد وشعب أعزل على الأرض، فلماذا لا تطبق منهج «التغلب» الذي يتيح لها تأسيس الإمارة (سواء عُجِّلَ إعلانها أو أُجِّلَ) وحكم الناس؟

نعم، إن المشكلة الكبرى ليست في التطبيق بقدر ما هي في المنهج، فإن جبهة النصرة تحمل فكر القاعدة الذي يسوّغ «التغلب» ويراه طريقاً مشروعاً لإقامة الدول، وهو أسلوب فاسد يكرس الطغيان والاستبداد. غفر

الله لفقهاء الأزمنة الماضية الذين أجازوه مع الإقرار
بفساده (بعد وقوعه لا قبله) دفعاً لضرر أكبر كما
توهموا، فكانت إجازته هي الضرر الأكبر كما تشهد
صحائف التاريخ الحزينة.

* * *

الأمر السابع الذي نطلبه من جبهة النصره هو التوقف عن «العريضة الثورية». هذا التعبير قاسٍ وقد يصدّم كثيرين، لكنني لم أجد أفضل منه لوصف الممارسات البشعة التي تمارسها النصره بحق المدنيين والناشطين الثوريين والفصائل العسكرية الصغيرة في المناطق المحررة التي تخضع لسيطرتها في الشمال.

من أكبر مظاهر وتجليات «العريضة الثورية» التي نطالب جبهة النصره بالإفلاع عنها فرضُ الإتاوات على الفصائل الصغيرة الضعيفة، فهي ترى ما يصل لتلك الفصائل من سلاح وذخيرة حلالاً لها يجوز نهبه والاستيلاء عليه بالقوة، فصار من سنتها الدارجة أن تصادر نسبة منه تتراوح بين عشرين بالمئة وسبعين بالمئة، فكلما كان الفصيل أضعف وأقل قدرة على الدفاع عن نفسه زادت الإتاوة، عملاً بقانون الغاب الذي شرعته جبهة النصره وأباحته لنفسها: «القوي يأكل الضعيف».

ومن «العريضة الثورية» التي نطالب جبهة النصره بالإقلاع عنها اقتحامُ القرى بالأرتال العسكرية، ومصادرة أملاك الثوار الذين حاربوا النظام ثم حاربتهم النصره بحجة أنها أملاك مرتدين، واقتحامُ البيوت الآمنة بحجة اعتقال مطلوبين مع ما يصاحب هذا الاقتحام من ترويع للنساء والأطفال وعدوان على الأبرياء، والاعتقال العشوائي الذي يطال مدنيين وثوريين وإعلاميين ودعاة وخطباء وقادة وعناصر في الفصائل المختلفة، حتى صارت سجونها ملاءى بالأبرياء الذين بلغ عددهم ألفاً إلا خمسين، بينهم نساء وأطفال!



إن النصره تتصرف في المناطق المحررة وكأنها جهاز أمني من أجهزة النظام الأسدي، فتتيح لنفسها ملاحقة كل من يعارض ممارساتها وسياساتها أو يخالف منهجها الفكري. وقد تسببت ملاحقتها للدعاة والخطباء في تفريغ المناطق الخاضعة لسيطرتها من أهل العلم الذين يحملون مناهج دعوية وفكرية تخالف منهج القاعدة المعروف، ووقع كثير من الأبرياء ضحيةً لممارسات ظالمة قام بها جهازها الأمني خارج القضاء، وهو يشبه الأجهزة الأمنية التي عرفناها في نظام الأسد من حيث

الاعتقال التعسفي والتحقيق والتعذيب الذي وصل إلى الموت في بعض الحالات.

بل إن الجهاز الأمني في النصره بلغ درجة غريبة من العربدة وصلت به إلى الاستهتار بقضاء النصره ذاته والاعتداء الصارخ على قراراته وأحكامه، وما قضية أبي حسين رحال عنا ببعيد، حيث صدر الحكم ببراءته من دار القضاء التابعة للنصره، ثم قام أحد أمنيي النصره بخرق الحكم واعتقال أبي حسين لاعتبارات عائلية عصبية جاهلية، وسكتت قيادة النصره عن الحق مجاملةً لأمنيها الباغي، لأنها تطبق شريعة «إذا سرق فيهم القوي تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد».

* * *

كنا نقول إن الداخل إلى سجون النظام مفقود والخارج منها مولود، وللأسف فإن هذه «العلامة المسجلة» صارت مشتركة بين النظام الأسدي وجبهة النصره بعد حوادث كثيرة مؤلمة، ليس آخرها اعتقال أبي عبد الله الخولي الذي يعلم الناس وتعلم جبهة النصره أنه بريء، ثم تصرّ على تليفيق التهم الباطلة المضحكة بحقه للاستمرار في اعتقاله، والله وحده يعلم إن كان

ما يزال في الأحياء أم أنهم قتلوه غيلة وغدراً كما
صنعوا بغيره من الأبرياء.

لذلك لم يكن مستغرباً هتاف أهل الأتارب الغاضبين
ذات يوم: «النصرة صارت جوية»!



إننا نطالب النصره بأن تتوقف عن كل المظاهر الظالمة
التي سردتها آنفاً، التي تكررت مئات المرات وضجَّ
منها الناس.

نطالب النصره بالتوقف عن ملاحقة المعارضين لسلطانها
والمنتقدين لتجاوزاتها في المناطق المحررة، نطالبها
بإطلاق سراح الأبرياء من السجون والتوقف عن
الاعتقال العشوائي والتعذيب الوحشي في السجون،
نطالبها بالكف عن حماية المعتدين الذين يتسبون إليها
والتوقف عن حمايتهم وتهريبهم من القضاء.

إننا نطالب جبهة النصره بأن تتوقف عن استغلال قوتها
في الظلم والبغي والعدوان.



ملحق

نماذج من «العردة الثورية»

علمت أن تعبير «العردة الثورية» الذي استعملته في الحلقة الأخيرة سيثير غضب أنصار النصر، فاعتذرت سلفاً بأنني لم أقصد به التجريح، وإنما أنا حقيقةً لم أجد أفضلَ منه لوصف الممارسات البشعة التي تقوم بها جبهة النصر في المناطق المحررة التي تخضع لسيطرتها في الشمال.

نعم، توقعت أن يغضبوا من الكلمة التي استعملتها، ولكن لم يخطر ببالي أن ينكروا تلك الممارسات وكأنني اخترعها من الخيال. ما ذنبي إن كانوا لا يعلمون أن النصر تصادر دائماً حصّة كبيرة من الأسلحة والذخائر التي تتلقاها الكتائب الصغيرة من الداعمين؟ ليسألوا إن كانوا لا يعلمون، أمّا الإنكار على من يعلم فإنه حجة الضعفاء. وما الدليل الذي تطلبونه مني؟ إيصالات

قبض مثلاً عليها ختم وتوقيع؟ اسألوا كتائب الجيش
الحر في إدلب وحماة تعرفوا الخبر اليقين.

أما إنكارهم لتجاوزات جبهة النصرة بحق المدنيين
فمن أعجب العجب، فقد سارت بها الركبان وغطت
وجه الشمس، فأنّى يمكن الإنكار؟ فلما عجز بعضهم
عن الإنكار قال: أليست كل الفصائل ترتكب أمثال
تلك التجاوزات؟ أي أنهم اعترفوا بها ولكنهم أنكروا
إنكارنا لها لأننا لم ننكر على الباقيين. فماذا لو أخبرناهم
أن جبهة النصرة وحدها مسؤولة عن ثلاثة أخماس
جميع التجاوزات التي ترتكبها كل الفصائل مجتمعة،
رغم أن حجمها لا يكاد يتجاوز نصف عشر الجسم
الجهادي في سوريا!

* * *

قررت قبل تسعة أشهر إحصاء تجاوزات جبهة النصرة
لأنني خفت أن أنتقدها ظلماً بغير حق، وبدأت فعلاً
بتسجيل الحوادث التي تحققت منها وتستحق أن
تُروى، تاركاً ما لم يثبت من أخبار وما لا يستحق
الرواية منها لأنه من الهنات التي تقع من الجميع،
فلم أكد أتم ثلاثة أسابيع حتى تركت هذه المهمة مللاً

واستثقالاً لأنها تحتاج إلى فريق من المتفرّغين. وإليكم القائمة التي سجّلتها في تلك الفترة القصيرة:

حملة تفتيش واعتقالات في معرة النعمان طالت مدنيين تظاهروا ضد جبهة النصرة (١/٢٣). اعتقال وضرب مدنيين في البارة بجبل الزاوية بسبب التظاهر ضد جبهة النصرة (١/٢٧). استشهاد الشاب صفوان بوابة تحت التعذيب في سجن جبهة النصرة في معرة مصرين بريف إدلب، وقد أشرف على تعذيبه أميرُ النصرة في البلدة خالد أبو قدور (١/٢٩)، وقد اعترفت النصرة بمقتله في سجنها معتذرة بأن السجّانين "بالغوا قليلاً في درجة التعذيب" (أي أن تعذيب المعتقلين جائز عندهم ولكن ليس لدرجة الموت، بل قريباً منه فقط). اعتقال مدني في قرية جوزف بجبل الزاوية، ثم اعتقال أخيه الذي حاول السؤال عنه (١/٣١). اعتقال ١٢ مدنياً في البارة بجبل الزاوية، بينهم طفل في الثالثة عشرة (٢/٣). اعتقال خمسة مدنيين في كفرنبل، أُطلق منهم ثلاثة في اليوم التالي وبقي اثنان رهن الاعتقال دون معرفة الأسباب (٢/١١). مدهامات واعتقالات طالت عدداً من المدنيين في ترملا بجبل شحشبو (٢/١٢). مدهامات واعتقالات وإصابات

في معرّة حرمة (٢/١٤)، وقد قُتل مصطفى حمود زريق في سجن النصر بعد اعتقاله. اعتقال إعلاميين في قرية عين لاروز (٢/١٦). استشهاد مضر أيوب في سجن النصر بخان شيخون بعد أسبوعين من الاعتقال (٢/١٦).

هذا كله في ثلاثة أسابيع فقط، وقبلها مباشرة كانت فضيحة حافلة المدنيين الأكراد (المسلمين السنة) التي أوقفتها جبهة النصر على حاجز الإيكاردا -على طريق حلب دمشق الدولي- واحتجزت ركابها لمدة أسبوعين، وفيهم ستّ فتيات تعرضنّ للتعذيب مع بقية الركاب في معتقل النصر في الزربة.

* * *

وكان أكثر ما أجزني في تلك الفترة -وأنا أتابع تجاوزات جبهة النصر- أنها بدأت بمحاكاة سلوك الأجهزة الأمنية في نظام الاحتلال الأسدي، فعندما تعجز عن اعتقال أحد المطلوبين تقوم باعتقال بعض أقربائه للضغط عليه ودفعه إلى تسليم نفسه!

صنعت ذلك في ترملا بجبل شحشو في المداهمات المذكورة آنفاً (٢/١٢) حيث حاولت اعتقال أحد

الرجال بتهمة كتابة شعارات معادية للنصرة على جدران القرية، وحينما عجزت عن اعتقاله قامت باعتقال أولاده فاضطر إلى تسليم نفسه. كما اعتقلت محمد ناصر زريق في معرة حرمة (٢/١٤) للضغط على أخيه الذي فشلت في اعتقاله، وهو قائد في ألوية الأنصار التي قاتلتها جبهة النصر في ريف إدلب الجنوبي في وقت سابق. كما شهد أسرى حافلة الإيكاردا بعد تحريرهم بوجود نسوة مسلمات سنّيات محتجّزات في سجن جبهة النصر في الزربة، لا تهمةً لهنّ سوى أن أبناءهن مطلوبون وهاربون.

هذه التجاوزات الخطيرة وأمثالها (وما أكثر أمثالها) هي التي دفعتني إلى استعمال ذلك التعبير الذي أنكره عليّ أنصار جبهة النصر، فهل استعملته ظلماً أم أنه وصف مُنصف صريح صحيح؟

* * *

الأمر الثامن الذي نطلبه من جبهة النصره هو التواضع
ولين الجانب وخفض الجناح ، وترك التكبر والعُجب
والعلو على عباد الله .

أقسم لي أحد المجاهدين أن شاباً صغيراً من أقاربه كان
جاهلاً بعيداً عن الدين لا يكاد يعرف المسائل الأولية
في الطهارة والصلاة ، ثم انضم إلى جبهة النصره وشارك
في دورة شرعية مدتها ثلاثة أسابيع ، فلما خرج منها
بدأ يوزع الاتهامات على المجاهدين ، فهؤلاء يعانون
من خلل في العقيدة وأولئك من أخطاء في المنهج ،
وهذا مرتدّ وذاك عميل . قال : وكانت الصفة الغالبة عليه
وعلى أكثر أصحابنا -الذين كانوا معنا في الفصيل ثم
تركونا وانضموا إلى النصره- هي الكبر والعُجب اللذان
يشعان من العيون وتنطق بهما ألسنة الحال والمقال ،
وبعضهم يكاد لا يسلم ولا يردّ السلام .

* * *

إذا كانت قيادة جبهة النصره تحمل وزر الأخطاء التي وصفتها في المقالات السابقة فإن هذه الكبيرة يحمل وزرها عناصرُ النصره. لا أقصدهم جميعاً بالتأكيد، معاذ الله، وقد سبق أن وصفت بعض من أعرف من شباب النصره بأنهم من أفضل المجاهدين خُلُقاً ودينياً وجهاداً، ولكن يوجد في مقابلهم عددٌ كبير جداً ممن تلبسوا بكبيرة الكبر من عناصر النصره؛ يحسبون أنهم هم الصفوة وسائر المجاهدين حُثالة، ويرون أنهم حَمَلَة المنهج القويم وغيرهم في ضلالة، بل يكادون يُشعرون عامّة الناس بأنهم هم المسلمون الوحيدون الذين يحملون رسالة الإسلام في هذا الزمان!

هذا التعالي صنع بين النصره وعامة الناس في مناطق سيطرتها جفوة كبيرة ما تزال تتسع يوماً بعد يوم، وزادها سوءاً أن قيادات ومحاكم النصره استكبرت على الخلق ورأت نفسها من معدن مختلف لا يُقاس عليه الناس، فلم تُنصفهم من نفسها وطبقت قاعدتين في التحاكم: قاعدة لها وقاعدة لبقية الناس.

فأما القاعدة التي لها فإنها قاعدة «إذا سرق فيهم القوي تركوه»، وأما القاعدة التي للناس فهي قاعدة «إذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد». لذلك تجبر أمميّوها

وشرعيّوها وأكلوا حقوق العباد، ولم يُسمَع أن النصرّة عاقبت مسيئاً أو معتدياً من عناصرها أو أنها أنصفت عامياً من العامة من شرعيّ أو أمنيّ أو أمير، فعلمنا أن عناصر وقيادات النصرّة وأمنيّها ملائكة لا يخطئون، أو أنهم يخطئون ولكنهم فوق الحساب والعقاب.

* * *

ومن مظاهر هذا الكبر والاستعلاء أن النصرّة ترى من قرأ أربع ورقات في كتاب من كتب الفقه أعلم ممّن صرّم شطر عمره في طلب العلم، إذا كان الأول منها والثاني من غيرها. فكان أن نصبت على الناس في المناطق التي تسيطر عليها شرعيين وقضاة كثير منهم أقرب إلى الجهل منهم إلى العلم. حتى إنني أعرف شرعياً من شرعيّ النصرّة في إدلب لم يُتِمّ المرحلة الإعدادية، وهو تاجر سلاح سابق، ويبيح لنفسه أن يصدر أحكاماً بتكفير فصائل برمتها، بل إنه نُقل عنه تكفير قرى كاملة في ريف إدلب!

وأكثر هؤلاء القضاة والشرعيين من الذين يُسمّون مهاجرين (والأولى أن يُسمّوا أنصاراً إن كان ولا بد، لأنهم جاؤوا إلى الشام نصرّة لأهل الشام كما يقولون)

وهؤلاء يجهل أكثرهم المذهبَ الفقهي الشائع في سوريا ويخالفونه عمداً أو جهلاً أو مكابرة، وهم يميلون غالباً إلى الشدة والقسوة والتسلط على الناس، وإلى التدخل في خاصة شأنهم فضلاً عن الشأن العام.

* * *

ومن أسوأ مظاهر الكبر والاستعلاء تخوين الفصائل المجاهدة، وهو أمر سمعناه من الجولاني نفسه في لقاءه مع قناة الجزيرة، ثم قرأناه مضاعفاً في مقالة الخارجيِّ التكفيري أبي فراس السوري، التي لم تملص منها جبهة النصرة ولم يصدر عنها أي استنكار لما ورد فيها من كوارث وطاقات.

* * *

الأمر التاسع الذي نطلبه من جبهة النصره هو المشاركة في عبء الحرب كاملاً، هجوماً ودفاعاً واقتحاماً ورباطاً، والتوقف عن سرقة الانتصارات وعن التهويل الإعلامي الذي اشتهرت به داعش والذي تسير النصره على أثره.

قليلون جداً من قرّاء هذه المقالة يعلمون أن أربعة أخماس الجهاد في سوريا هو رباطٌ على الجبهات، والخمس الخامس وحده هو الاشتباكات والاقترحات. ولا يعلمون أيضاً أن النزيف الأكبر للفصائل -في الأفراد والذخيرة- هو بسبب الرباط الذي يمتصّ هجمات العدو المتكررة على الجبهات يوماً بعد يوم بهدف اختراقها وإعادة احتلال المناطق المحررة.

وأقل القليل من هؤلاء القليل من يعلم أن النصره تعتمد سياسة عامة تطبقها في كل المناطق مع استثناءات قليلة، قليلة جداً، وهي رفض المشاركة في الرباط والاقتصارُ

على المعارك والاقترحات. لماذا؟ لأن كلفة الرباط العالية ليس لها مردود مفيد، أما الهجوم فإنه مربح جداً، فمقابل التضحية بمجموعة من الاستشهاديين (تقبّلهم الله) تحصل جبهة النصره على حصه كبيرة من الغنائم!

وقد صار مألوفاً للفصائل كلها أن النصره تصرّ -قبل الموافقة على الدخول في أي معركة- على اختيار المحور الذي يضمن أكبر قدر من الغنائم، وما قصة معركة الحامدية ووادي الضيف عنا بعيد، فاسألوا المجاهدين الذين شاركوا فيها من حركة أحرار الشام يُطلعوكم على التفاصيل العجيبة، ويخبروكم عن مناورات وألاعيب لا تجوز في شرع ولا قانون للاستثمار بأكبر قدر من الغنائم. وفي غير الحامدية من القصص ما يسوّد عشرات الصفحات.

إننا نطالب جبهة النصره بأن تشارك في الرباط على الجبهات ولا تُلقِي هذا العبء المُستنزِف الثقيل على الفصائل الأخرى، ونعيد تذكير جبهة النصره (التي ما جاءت إلا لنصرتنا) بأنّ من أهم مظاهر النصره الحقيقية الرباط على الجبهات وإخلاء المدن من المقرّات. فما للنصره قد زرعت مقرّاتها في كل قرية ومدينة

ونشرت حواجزها على مداخل المدن ومخارجها كما
صنعت داعش يوم بدأت باحتلال المناطق المحررة
قبل سنتين؟ هلاً نقلت ثقلها الحقيقي من المدن إلى
الجبهات وتركت الحكم وانشغلت بالقتال؟

* * *

أما سرقة الانتصارات فقد صارت حالة مزمنة يشكو
منها الجميع، فإن الفصائل تعلم سلفاً أن المعركة
التي تشارك فيها النصر ستُجَيَّرُ إعلامياً لصالح النصر
وسيمحى أي ذكر لغيرها.

وليت جبهة النصر اكنفت بالسطو على الانتصارات
التي شاركت في صنعها مع غيرها، بل إنها تجاوزتها
إلى سرقة انتصارات لم يكن لها فيها سهم ولم تطلق
فيها رصاصة، كحادثة معبر نصيب المشهورة، يوم
اقتحم مسلحو النصر المعبر (الذي لم يشاركوا في
تحريره ولا بطلقة واحدة) اقتحموه بقوة السلاح
ليحصلوا على صور استعراضية تُظهر عناصر النصر
وراياتها، حتى ظن كثير من أنصار النصر أنها هي التي
قادت المعركة وحققت النصر!

ولو أن الأمر وقف عند سرقة الانتصارات لهان الخطب،

ولكننا وجدنا أن جبهة النصره تسرق التحالفات وغرف
العمليات التي تنضم إليها، كما صنعت مع جيش
الفتح.

وهو في الأصل غرفة عمليات وليس اتحاداً بين
الفصائل، ولكن الاسم أوحى للعامة بأنه تكتل عسكري
موحد، واستغلت جبهة النصره وجودها فيه فنشّطت
المعرفّات والحسابات التويترية والفسبوكية حتى
كرّست في أذهان الناس أن جيش الفتح هو جبهة
النصره، فلا يكاد أحدٌ يتذكر اليوم أن النصره واحدةٌ
من سبع مجموعات تشكل هذا الكيان، وأن عدد
مقاتليها فيه يتراوح بين ربع وخمس عدد مقاتليه.

إذا كانت جبهة النصره جزءاً من هذا الجسم الكبير
فلماذا غطّت سماءً إدلب بأعلامها السوداء، فكانت
تلك رسالةً أرسلتها للعالم بأنها هي جيش الفتح وأنها
الطرف المسيطر على المدينة وأنها صانعة الانتصار؟

* * *

الأمر العاشر الذي نطالب به جبهة النصره هو حسم موقفها من عدو الثورة الكبير، نطالبها بموقف واضح مطّرد ثابت من عصابة داعش.

ولا يُقَلُّ لنا أحد: لقد قاتل أبو مارية الدواعش في الشرقية، وقاتلت النصره في حوران لواء شهداء اليرموك الداعشي، وأطلق الجولاني على الدواعش لقب «الخوارج» في لقاءه مع الجزيرة. لدفع هذا اللبس طالبتُ بثبات الموقف واطّراده، فإن الشواهد ناطقات، وهي تقول أن النصره قاتلت داعش في بعض المناطق وامتنعت عن قتالها في مناطق أخرى وقاتلت معها في مناطق ثالثة، وأنها غضّت الطرف عن جرائمها أحياناً وتعاونت معها في بعض الأحيان، وما جريمة مخيم اليرموك عنا ببعيد، وهي طامة كبرى لم تتبرأ منها النصره إلى اليوم.

لذلك نقول: من حقنا أن نخاف من النصره لأننا نرى

أن موقفها من داعش متذبذب وأن منهجها أقرب إلى منهج داعش من سائر المناهج التي تحملها الفصائل والقوى الثورية. وليس هذا كلامنا، بل هو كلام شرعي النصر، ومنه ما ثبت عن أبي خديجة الأردني شرعي الغوطة السابق الذي قال: نحن والدولة الإسلامية (!) عقيدتنا واحدة ومنهجنا واحد، ويقتصر خلافنا معهم على التطبيق والسياسة الشرعية!

* * *

من حقنا أن نخاف من النصر لأن أميرها اعتبر ذات يوم أن خلافها مع داعش هو خلاف "يقع بين الإخوة في البيت الواحد" (هذه كلماته بحذافيرها)، ولأنه ردّ على البغدادي غداة إعلان الدولة بكثير من المديح والتملق مُقَرَّراً - بلا أي كُبس - بأن جبهة النصر هي فرع من دولة العراق. ولأنه قال - حسب الشهادة المسجلة لأبي عبد العزيز القطري رحمه الله - إنه سينضوي تحت راية البغدادي إذا أمره بذلك شيخه الظواهري، ولأنه ركب سيارته أكثر من مرة وهمَّ بالذهاب إلى البغدادي لمبايعته كما شهد بذلك بعض رفاقه في الجبهة، ولولا أنهم منعه ورددوه لكانت النصر اليوم جزءاً من داعش كما يقولون!

من حقنا أن نخاف لأن الجولاني اعترف ببيعته للظواهري وأقرّ بأنه يتلقى منه الأوامر والتعليمات. والظواهري ما زال يرى داعش جماعة مجاهدة، حتى إنه صرّح قبل أقل من شهرين بأنه لو كان في سوريا أو العراق لتعاون مع داعش ضد التحالف، ودعا قبل أيام إلى التعاون والوحدة بين القاعدة وداعش لمحاربة روسيا وأمريكا، ثم أرسل «مبعوثه الخاص» المدعو سيف العدل لإجراء المصالحة بين الجماعتين.

هذا التذبذب العجيب لا يخوّف عامة السوريين من جبهة النصره فحسب، بل إنه يربك أيضاً عناصر النصره نفسها ويحرج أنصارها، الذين باتوا يُمسون على خصومة النصره مع داعش ويُضبحون على يد الظواهري الممدودة لها بالصلح والتعاون!

* * *

من حقنا أن نطالب جبهة النصره بإعلان موقف واضح حاسم من تذبذب القاعدة مع داعش، موقف مبدئي يوضح لأهل الشام: هل الفريقان «جماعة واحدة» كما قال الظواهري في كلمته المشهورة التي أذاعها أوائل أيار ٢٠١٤؟ هل توافق جبهة النصره الظواهريّ (الذي

تدين له بالولاء) على أن داعش جماعة جهادية ينبغي التعاون معها، بل الاتحاد بها؟ من حقنا أن نطالب جبهة النصره بالتبرؤ من الفصيل الذي يحمل اسمها في جنوب دمشق، ونطالبها بدعوة الفصائل إلى قتاله وكف شره أسوةً بقتال داعش وكف شرها في كل مكان.

والأهم من كل ما سبق: من حقنا أن نطالب جبهة النصره بإعلان واضح صريح لا لبس فيه، بأنها لن تسلك مسلك داعش ولن تؤسس إمارة على الأرض السورية في أي حال من الأحوال.

* * *

وصلنا أخيراً إلى أهم وأخطر ما نطلبه من جبهة النصره، وقد أخرته وقدمت عليه عشرة أنواع من التجاوزات طالبتُ النصره بالتبرؤ منها والإقلاع عنها، لأنني أردت أن أختم بالمشكلة التي هي أم المشكلات وهي جذر الخلاف بيننا وبينها.

إننا نطالب جبهة النصره بأن تتخلى عن مشروعها القاعدي وتندمج في مشروع الجهاد الشامي الساعي إلى إنشاء الدولة السورية الحرة المستقلة. نطالبها بفك ارتباطها بتنظيم القاعدة والتوقف عن تلقي الأوامر من شيخها الظواهري، ليس فقط من أجل السبب الذي يُساق دوماً في هذا المقام، بل من أجل ما هو أخطر بكثير: خوفاً من مشروع الإمارة القاعدية الذي تسعى جبهة النصره إلى إقامته على أرض الشام.

إن ارتباط النصره بالقاعدة ما يزال يورد على أهل الشام الأذى ويحملهم من العبء ما لا يطيقون. ولا يقل

أحد إن عداء العالم للقاعدة كعدائه لأي فصيل مجاهد في سوريا، فإن القاعدة سبقت بالاستعداد وأعلنت الحرب على العالم شرقه وغربه وعلى الأنظمة الحاكمة في بلدان العرب والمسلمين، ولم يكد يسلم منها أحد إلا إيران، فكيف لا يبادلها العالم حرباً بحرب وعداء بعداء؟

إن أهل الشام لا يريدون قطعاً أن يشاركوا القاعدة في معركتها مع العالم ولا أن يتحملوا عبئها الثقيل، لكن الأهم بكثير هو أنهم لا يريدون أبداً أن يستبدلوا بمشروعهم الذي ثاروا من أجله مشروع القاعدة الذي رأينا صوراً معبرة عنه في العراق واليمن ومالي والصومال.



منذ أن وطئت جبهة النصره أرض سوريا ونحن متخوفون من مشروعها الخاص، فكل فرع من فروع تنظيم القاعدة لا بد أن يحمل مشروعها، ومشروع القاعدة هو مشروع حكم ودولة. وقد علمت النصره أن أهل الشام سيخافون من ارتباطها بالقاعدة فأخفته أول الأمر، ولم تكشفه حتى كان البغدادي هو الذي

كشفه في تسجيله الشهير في نيسان ٢٠١٣، فتحسّر الجولاني لأنه كان يريد الاستمرار في الاستتار وقال: "ما كنا نريد الاستعجال بالإعلان عن أمر لنا فيه أناة".

أما الظواهري فكان أكثر حذراً حينما وجّه تعليماته إلى جبهة النصره في أيار ٢٠١٤ طالباً "عدم إعلان أية إمارة في الشام في هذه المرحلة". فلّمّا رأينا تحديد النهي عن إعلان الإمارة بمرحلة محددة صار من حقنا أن نسأل: وماذا بعدها؟

فما انقضى شهران حتى جاء الجواب بصوت الجولاني نفسه في تسجيل سُرّب بتاريخ ١١/٧/٢٠١٤، وفيه وعدٌ بإعلان الإمارة خلال أيام. كانت تلك هي المرة الأولى التي يتخلى فيها الجولاني عن حذره ويربط مشروع النصره بمشروع القاعدة، بل وأكثر من ذلك، بمشروع جماعة الجهاد التي كان الظواهري أحد قادتها في مصر في السبعينيات.

قال مخاطباً أتباعه: "حان الوقت لتقطفوا ثمار جهادكم الذي مضى منه ثلاث سنوات على أرض الشام وأكثر من أربعين سنة من جهاد تنظيم القاعدة في شتى بلاد الأرض. آن الأوان لأن نقيم إمارة إسلامية على أرض

الشام تطبق حدود الله وشرعه دون تهاون أو مواربة أو مداراة". ففهمنا أن مشروع النصره هو مشروع القاعدة ذاته. ثم فكّرنا: من أين جاءت السنوات الأربعون والقاعدة لم تولد إلا أواخر الثمانينيات؟ فعلمنا أنه يربط مشروع إمارته في الشام ببدايات المشروع الذي حمله الظواهري من مصر إلى أفغانستان.

* * *

أثار الإعلان المسرّب ضجة هائلة وقوبل باستنكار ورفض قاطع من الفصائل كلها. فوجئ الجولاني بذلك الرد العنيف وتراجع خطوة إلى الوراء، فأصدرت النصره بياناً قالت فيه: "إننا نسعى لإقامة إمارة إسلامية وفق السنن الشرعية المعتمدة ولم نعلن عن إقامتها بعد، وفي اليوم الذي يوافقنا فيه المجاهدون الصادقون والعلماء الربانيون سنعلن عنها بإذن الله".

لم يُنْفِ هذا البيان الخوف لأنه لم يتبرأ من المشروع، بل ربطه فقط بموافقة «المجاهدين الصادقين والعلماء الربانيين». فأما المجاهدون الصادقون فلا يُستبعد أن يكونوا جند الأقصى، وأما العلماء الربانيون فقد علمنا من متابعة النصره زماناً أن علماءها غير علمائنا، فلم

يزدنا إعلانها إلا خوفاً فوق الخوف الأول.

على أن التراجع والاعتذار كان لفظياً فحسب، أما المشروع فبقي هو هو، فلما بسطت النصره سلطانها على رقعة من الأرض رفعت راياتها وأقامت منشآت الحكم وبدأت بممارسة السلطان بلا ضجيج ولا إعلان، حتى إن الجولاني نفسه اعترف في لقاءه مع الجزيرة بأنه أنشأ إمارة بلا إعلان فقال: "إن مهام الدولة قائمة على قدم وساق في الأماكن المحررة، وقضية الإعلان لم تكن محلّ اهتمام طالما وُجد الجواهر".

* * *

يا جبهة النصره: إننا نحتمل أي أذى من أي كان إلا تُسرق ثورتنا ليؤسّس على جثث شهدائنا مشروعاً للحكم والسلطان. أما يكفيننا البلاء الذي أتت به داعش؟ وهل رفضنا داعش وقاتلناها إلا لأنها انتزعت منا الأرض لتقيم عليها مشروعها الخاص؟

* * *

الخاتمة

علمتُ لما بدأت بنشر هذه الحلقات أنني سأغضب كثيرين، وإنني فاضلت بين رضاهم في غضب الله وغضبهم في رضاه، فاخترت أن أرضي الله ولو غضب الناس.

للمرة الثانية في هذه الثورة يطلب مني بعض الصالحين أن أسكت عن الظلم مراعاة لخواطر المجاهدين وحرصاً على مصلحة الجهاد المتوهمة. صنعوا ذلك مع داعش قبل سنتين ثم ظهرت لهم الحقيقة متأخرين، وها هم يصنعونه اليوم من جديد.

من فضل الله أن الأيام مخلوق ناطق، وكما نطقت فكشفت للأولين أنني لم أظلم أحداً في ذلك اليوم فعسى أن يرجع اللائمون الجدد بعد عام قائلين: لقد كنتُ على صواب.

أما الذين بالغوا في الهجاء وجرّموني وخوّنوني بسبب نقدي القاسي للنصرة فأقول لهم: لقد وصلتكم متأخرين فدخلتم إلى المسرح في نهاية المسرحية، ثم حكمتم عليها كلها ممّا شاهدتموه في الربع الأخير من الفصل الأخير، ولو تابعتكم فصولها المبكرة لما صدر عنكم هذا الحكم الجائر.

لقد بدأتُ بالكتابة عن النصرّة منذ أن صنّفها المجتمع الدولي في قائمة الإرهاب قبل ثلاث سنين، فكان أول ما كتبتّه انتصاراً لها ودفاعاً عنها، ثم غيّرتُ فغيّرتُ.

بدأتُ بالتجاوز والظلم وبدأتُ بنصح خفيّ، وبقيتُ عليه زماناً، ثم انتقلت إلى النصح الجليّ وثابرت عليه أيضاً، ثم إلى النقد الرفيق الرقيق، وأخيراً إلى النقد القاسي الذي أخذتموه عليّ بأخرة.

ولو زادت لزدت، ولو أصلحت وكفّنتُ لَلِنْتُ وكفّنتُ، فليس أحدٌ فوق الحق ولا فوق النقد، ولا أحدٌ أهم من الثورة التي قامت لإسقاط الظلم والبغي والطغيان، فمن ظلم وبغى وطغى ثرنا عليه كما ثرنا على النظام.

* * *

أما الذين طالبوني بالنصيحة السرية وترك النقد العلني فأقول لهم: كان هذا ممكناً لو كان لقادة النصره أسماء وعناوين كما لقادة الفصائل الأخرى في سوريا أسماء وعناوين، ولو أنهم كانوا يستمعون لنصح الناصحين ويستجيون لوساطات الوسطاء لما اضطررنا إلى مخاطبتهم عبر القنوات العامة.

ولكن ماذا يصنع أمثالي إذا عجز صالح الحموي، وهو من مؤسسي جبهة النصره، عن إيصال النصيحة الخاصة ولم يخرج منها بطائل فاضطر إلى الكتابة العلنية؟ أما قرأتم ما كتب: "بعد ياسي من النصح السري المتكرر قلت لهم: كل خطأ على العلن سأنقده على العلن. فقد قدّمتُ ورقات عمل ووثائق إصلاح في كل صغيرة وكبيرة ولم تأت بنتيجة؟"

* * *

من شاء أن يسكت عن الحق وهو يعلمه فإنه شيطان أحرص، فمن يحب أن يكون شيطانياً أحرص؟ مَنْ علم الحق فشهد بخلافه فهو شاهد زور، فمَنْ يرضى أن يكون شاهد زور؟ من جاءه العلم ووصله الحق فردّه عصبيةً وهوىً فقد تخلق ببعض أخلاق الجاهلية؟ مَنْ

يقبل أن تكون فيه خصلة من جاهلية؟ أمّا من نسي هذه الآية العظيمة في كتاب الله فليقرأها اليوم من جديد: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله﴾، فالشهادة بالقسط والحق واجبة في شرع الله وليست على التخيير.

* * *

أخيراً لتعلم جبهة النصره أننا لسنا أعداء لها؛ عدوها هو ظلمها وبغيها على الضعفاء. تذكروا يا قادة النصره وجنود النصره: إن الأيام دُولٌ والقوّة لا تدوم، وإن الظلم يهدم الدول ويمسح الجماعات من الوجود، وإنه -لو علمتم- وصمة عار في سجلّ النصره لا يكاد يمحوه جهادها، فما كان الجهاد يوماً ليبرر الظلم والعدوان على الأبرياء. وكيف يبرره ودفعُ الظلم عن المستضعفين من الأسباب التي شرع الجهاد من أجلها ابتداءً: ﴿ما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين﴾؟

* * *

كلمة الختام لأنصار النصره ولعامة المسلمين في الشام وفي غير الشام: لا أحد يحب الخلاف والنزاع بين

الفصائل التي تقاتل النظام، هذه القاعدة محل إجماع بين العقلاء، فليس ما كتبه في هذه السلسلة استثارة لفتنة نائمة، بل هو دفع لفتنة قائمة. إنما نكتب ومنتقد الأخطاء بقسوة -أنا وغيري- لندراً بقسوة اللسان حرّ السنان وندفع النصره إلى الإصلاح قبل الانفجار.

لن يرضى أحد في سوريا بتكرار مأساة داعش التي بدت إلى الآن منها بدايات كثيرة من قبل النصره، وما لم يجار المظلومون بالشكوى من الظلم ويجهر بإنكاره من علم به ويمنعه من يقدر على منعه فإنه سيأكل الثورة كما تأكل الحطب النار، فما كان الله لينصر ثورة لا يُجار ضعيفها من قوئها، ثورة يرى أهلها الظلم والعدوان وهم قادرون على إنكاره ثم يسكتون عن الإنكار.

* * *

وتمت كتابة كلمة الختام

في الثالث من صفر ١٤٣٧

٢٠١٥/١١/١٥